

الْحُسَيْنُ الضياء الذي لا يغيب!

يظنّون أننا نحیی ذكر الحسین، نرفع الأعلام، نردد القصائد، نحیی اللیالی، وهم لا یعلمون بأن ذکر الحسین هو الذي یحیی قلوبنا، ویوقظ فینا الحیاة، هو النبض الصامت في أعماقنا، والضیاء الذي لا یغیب عن دروبنا، ذكره ليس مجرد كلمات تُقال، بل هو روحٌ تسري في عروقنا، تُحیی فینا الصبر، والعزيمة، والحق الذي لا یموت. هو الضوء الذي لا یخبو مهما طال لیل الظلم، والنبض الصامت الذي یتردد في صدورنا حين تخفت الأصوات، ليس مجرد كلمات تُقال، أو طقوس تكرر، بل هو روحٌ تسري في عروقنا، هو الحقیقة الخالدة التي تذكّرنا بأن الحق لا یموت مهما تعاظم الظلم، وأن الدم الذي سُفك في كربلاء ليس مجرد دم، بل بذرة حیاة تنمو في قلوب الأجيال. ذكر الحسین هو الحکایة التي ترفض أن تُنسى، الحرف الذي لا یموت مهما غيّرت الريحُ دفاترَ الزمان، هو النداء الذي یسكن في صدور الأحرار، ویولد كلَّ يومٍ من أعماق الوجع والموقف والثبات هو السیف الذي لا یصدأ في معركة الخیر والشر، هو الصوت الذي یسمعه كل من یبحث عن العدالة في هذا العالم القاسي،

فلا تسألني لماذا تهتزّ قلوبنا عند ذكر الحسین، ولا تقل لي: أما اكتفیتم من البكاء؟ نحن لا نبکی لأن جسدًا قد رحل عنّا، بل نبکی فکرةً خلّدتها دماؤه الطاهرة، نبکی ذلك الصوت الذي وقف وحيدًا شامخًا، مرددًا بصمودٍ لا یلین: «أَمّا مِنْ ناصِرٍ یَنْصُرُنِی؟» نبکی لأن الأرض ما تزال تنزف جراح كربلاء، ولأن الذکری لیست مجرد حکایة تُروى، بل هی نبضٌ حي یوجد فلا تستغرب وجعنا إذا ارتجف في ذکره القلب، ولا تُدهشك أصوات الباکیین على بابهم، فنحن لا ننوح على فقید، بل نُجدد عهدًا، كل دمة تسقط منّا، هی وعدٌ ألا نخون، وكل شهقة فی مجلسه، هی سیفٌ نرفعه إن عاد الطغیان. نحن لا نحمل الحزن، بل نحمل القضیة، نحملُ رایةً نُسجت من دمه الطاهر، ونعلم أن السلام إذا لم یکن عادلًا، فهو خدیعةٌ لا تلیقُ بمن سار على درب الحسین وقف الحسین وحيدًا وسط صمت العواصف، صاح بصوتٍ كسر حاجز اللیل: «أَمّا مِنْ ناصِرٍ یَنْصُرُنِی؟»

كانت كلماته كسهامٍ تخترق ظلام الجبروت، نارٌ تلتهم صمت الخونة، وصهيلٌ خیولٍ یعلنُ قدوم الثورة. لكنّهم تجاوزوه، أعماهم عن رؤية الحقیقة، كأنّ دماؤه لم تكن دماءً، وكأنّ جراحه لم تكن جراحًا، وكأنّ الحق ليس إلا سرابًا في صحراء النسیان. صرخة الحسین لیست نداءً عابرًا، بل شعلهٌ تضیئُ درب الأحرار، وصوتٌ یصدح في وجدان كل مؤمنٍ بالعدل، لن تنطفئ نیرانه، ولن تُنسى ذکراه، سيبقى خالدًا في نبض الزمان، ینادی وستبقى الأرضُ شاهدةً للحق، وستظلّ القلوبُ رافضةً الخضوع والخذلان..

